

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد، وآله وصحبه أجمعين:

هذا تعليق لطيف على منظومتي في: **(السير إلى الله والدَّار الآخرة)**، يحل معانيها، ويوضح مبانيها، فإنها قد حصلت على كبير من منازل السائرين إلى الله، التي توصِل صاحبها إلى جنات النعيم في جوار الرب الكريم، وتمنعه من عذاب الجحيم والحجاب الأليم. والله المسؤول بفضله ومته، أن يجعله خالصاً لوجهه، مقرباً عنده.

**واعلم أن المقصود من العبادة:** عبادة الله، ومعرفته، ومحبته، والإنابة إليه على الدوام، وسلوك الطرق التي توصِل إلى دار السلام. وأكثر الناس غلب عليهم الجس، وملكتهم الشهوات والعادات، فلم يرفعوا بهذا الأمر رأساً، ولا جعلوه لبنانهم أساساً، بل أعرضوا عنه اشتغالا بشهواتهم، وتركوه عكوفاً على مُراداتهم، ولم ينتهوا لاستدراك ما فاتهم في أوقاتهم، فهم في جهلهم وظلمهم حائرون، وعلى حظوظ أنفسهم الشاغلة عن الله مكبّون، وعن ذكر ربهم غافلون، ولمصالح دينهم مضيعون، وفي سكر عشق المألوفات هائمون، ﴿سُوا اللَّهِ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: 179].

ولم يتبّه من هذه الرقعة العظيمة، والمصيبة الجسيمة إلا القليل من العقلاء، والنادر من الثبلاء، فعلموا أن الخسارة كل الخسارة: الاشتغال بما لا يجدي على صاحبه إلا الوبال والحрман، ولا يعوضه مما يؤمل إلا الخسران، فآثروا الكامل على الناقص، وباعوا الثاني بالباقي، وتحملوا تعب التكليف والعبادة، حتى صارت لهم لذة وعادة، ثم صاروا بعد ذلك سادة، فاسمع صفاتهم، واستعن بالله على الاتصاف بها:

### 1. سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى \*\* وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ

هذا هو أصل طريقهم، وقاعدة سير فريقهم: إنهم تجنّبوا طرق الخسران، وتيمّموا طرق الرضوان. تجنّبوا طرق الشيطان، وقصدوا عبادة الرحمن. تجنّبوا طرق الجحيم، وتيمّموا سبل النعيم، تركوا السيئات، وعملوا على الحسنات. نزّهوا قلوبهم وألستهم وجوارحهم عن المحرمات والمكروهات، وشغلوا بفعل الواجبات والمستحبات. تخلّوا بالأخلاق الجميلة، وتخلّوا من الأوصاف الرذيلة.

### 2. فَهُمْ الَّذِينَ قَدْ أَخْلَصُوا فِي مَشْيِهِمْ \*\* مُتَشَرِّعِينَ بِشَرِيعَةِ الْإِيمَانِ

هاتان القاعدتان وهما: **الإخلاص والمتابعة:** شرط لكل عبادة ظاهرة وباطنة، فكل عمل لا يربّاه بوجه الله فهو باطل، وكل عمل لا يكون على سنة رسول الله ﷺ فهو مردود، فإذا اجتمع للعمل **الإخلاص** للمعبود (وهو أن يراود بالعمل وجه الله وحده)، **والمتابعة** للرسول ﷺ (وهو أن يكون العمل قد أمر به)، فهذا هو العمل المقبول.

### 3. وَهُمْ الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ \*\* بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ لِلدِّينَانِ

أي: ساروا في جميع أمورهم مستنصحين وملازمين **للخوف والرجاء**، وذلك أن لهم نظراً، أي: نظر إلى أنفسهم وتقصيرهم في حقوق الله: يحدث لهم الخوف، ونظراً إلى منن الله عليهم، وإحسانه إليهم: يحدث لهم الرجاء. وأيضاً، ينظرون إلى صفات العظمة والجلال، والحكمة والعدل، فيخافون على أنفسهم من ترتب آثارها، وينظرون إلى صفات الرحمة والجود والكرم والإحسان، فيرجون ما تقتضيه:

فإن فعلوا حسنة، جمعوا بين **الخوف والرجاء**، فيرجون قبولها، ويخافون ردها. وإن عملوا سيئة، خافوا من عقابها، ورجّوا مغفرتها بفضل الله، فهم بين الخوف والرجاء يترددون، وإليهما دائماً يفرعون، ومنهما في أمر سيرهم مترددون، فأولئك الذين أحرزوا قصب السبق، وأولئك هم **المفلحون**.

### 4. وَهُمْ الَّذِينَ مَلَآ إِلَهَهُ قُلُوبُهُمْ \*\* بِوَدَائِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَانِ

هذه المنزلة، وهي منزلة المحبة، هي أصل المنازل كلها، ومنها تنشأ جميع الأعمال الصالحة، والأعمال الناقصة، والمنازل العالية.

**ومعنى المحبة:** تعلق القلب بالمحبيب، ولزوم الحب للقلب، فلا تفك عنه.

وهي تقتضي من صاحبها الانكفاف عن ما يكره الحبيب، والمبادرة إلى ما يرضيه بقلب منشرح، وصدر رحيب، فإن تكلمت بكلمة بالله، وإن سكّت سكّت الله، وإن تحرّك تحرّك الله، وإن سكّن سكّن الله، ويحدث عن الحب الشوق إلى الله، والقلق، فلا يكاد صاحبه يستقر.

**فإن قيل:** فهل للمحبة - التي هي أعلى المراتب - من وسيلة وسبب؟

**قيل:** لم يجعل الله مطلباً إلا جعل لحصوله سبباً، فمن أكبر أسبابها الانكفاف عن كل قاطع بالقول والفعل والأفكار الرديّة، والإكثار من ذكر الله بحضور قلب، وتدبر كلامه الكريم، ومطالعة نعيمه العظيمة على العبد، وبالقوف بين يديه بحضور قلب، وأدب في الوقوف بين يديه، ومجالسة المحبين، ومجانبة كل قاطع، فمن فعل ذلك نال محبة الله - إن شاء الله -، والله المستعان. ولهذا قلت:

### 5. وَهُمْ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ \*\* فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ وَالْأَحْيَانِ

منزلة شريفة، حاجة كل إنسان إليها بل ضرورته إليها فوق كل حاجة، فذكر الله هو عمارة الأوقات، وبه تزول الهوموم والغموم والكدورات، وبه تحصل الأفراح والمسرات، وهو عمارة القلوب المغفورات، كما أنه غراس الجنات، وهو موصّل لأعلى المقامات، وفيه من الفوائد ما لا يحصى، ومن الفضائل ما لا يعد ولا ينقضي قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ۝ وَسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾ [الأحزاب: 41/42]. وقال النبي ﷺ: برجلي قال إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأوصيني؟ قال: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ». وقال: «سَبِّحِ الْمُفْرَدُونَ» قالوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».

ولي من الآيات:

- وَكُنْ ذَاكِرًا فِي كُلِّ حَالٍ - فَلْيَسْ لِيذْكُرِ اللَّهَ وَقْتُ مُقَيَّدٍ
- فَذِكْرُ إِلَهٍ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعْلَنًا - يُزِيلُ الشَّقَا وَالْهَمَّ عَنْكَ وَيُطَرِّدُ
- وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دِينًا وَأَجَلًا - وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشْرِدُ
- فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لَصَحْبِهِ - بِأَنْ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرِدُ
- وَوَصَّى مَعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلَهَهُ - عَلَى ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالْحَسَنِ يَعْبُدُ
- وَأَوْصَى لَشَخْصٍ قَدْ آتَى لِنَصِيحَةٍ - وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يُجْهِدُ
- بِأَنْ (لَمْ يَزَلْ رَطْبًا لِسَانُكَ) هَذِهِ - تُعِينُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسْعِدُ
- وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ غَرَسَ لِأَهْلِهِ - بِجَنَّاتٍ عَدَنٍ وَالْمَسَاكِينِ تُمَهِّدُ

وأخبر أن الله يذكر عبده - ومنعه على كل الأمور يُسَدِّدُ  
وأخبر أن الذكر يبقى بجنبه - وينقطع التكليف حين يُخَلِّدُ  
ولو لم يكن في ذكره غير الله - طريق إلى حبّ الإله ومُرشِدُ  
وينهى الفتى عن غيبة ونميمة - وعن كل قول للديانة مُفسدُ  
لكأن لنا حظّ عظيم ورغبة - بكثرة ذكر الله نعيم الموحّد  
ولكننا من جهلنا قلّ ذكرنا - كما قلّ منا للإله التعلّد  
وذكر الله نور للذاكر، في قلبه، وفي قوله، وفي قبره، ويوم حضره. والله المستعان.

### 6. يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِكِ بِفِعْلِهِمْ \*\* طَاعَاتِهِ وَالتَّرْكَ لِلْعُصْيَانِ

هذه الأعمال التي تقرب إلى الله، وتوصل إليه، وهو فعل طاعته، لا سيما الفرائض، وترك معاصيه، كما في الحديث القدسي: «وَمَا يَقْرَبُ إِلَيَّ عَبْدِي شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَجِبَهُ». فلماذا قلت:

### 7. فِعْلُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَأْبُهُمْ \*\* مَعَ رُؤْيَا تَقْصِيرِ وَالتَّقْصِيرِ

هذا هو الكمال: وهو أن يجتهد في أداء الفرائض، والإكثار من النوافل، ويرى نفسه مقصراً مفرطاً، فاجتهاده في الأعمال ينفي عنه الكسل، ورؤيته تقصيره ينفي عنه الغجب الذي يبطّل الأعمال ويفسدها.

### 8. صَبَرُوا النَّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا \*\* شَوْقًا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ

**الصبر:** هو حبس النفس على ما يكره الإنسان إذا كان فيه رضى الرحمن. **والصبر ثلاثة أقسام:** \* **صبر** على طاعة الله حتى يؤدّيها، \* **وصبر** عن معاصي الله حتى يتركها، \* **وصبر** على أقدار الله المؤلمة، فلا يتسففها، فإذا كسلت نفسه عن طاعة الله حتّأ عليها، وألزمها، ورغّبها بإيّاها بنواياها، وإذا اشتدت دواعي نفسه إلى معصية الله كتمها عنها، وحذر بها وبآلها، وعاقبة فعلها، فالصبر يحتاج إليه في كل الأمور.

### 9. نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهُمْ بِهَا \*\* قَدْ أَصْبَحُوا فِي جَنَّةٍ وَأَمَانِ

**منزلة الرضى** أعلى من منزلة الصبر، فإن الصبر حبس النفس وكتمها على ما تكره، مع وجود منازعة فيها. وبالرضى تضمحل تلك المنازعة، ويرضى عن الله رضى مطمئن منشرح الصدر، بل ربما تلذذ بالبلاء كتلذذ غيره بالرخاء. وإذا نزل العبد بهذه المنزلة طابت حياته، وقرّت عينه. ولهذا سمي الرضا **جنة الدنيا** ومستراح العابدين، ومن رضى عن الله رضى الله عنه، ومن رضى عن الله باليسير من الرزق، رضى الله عنه باليسر من العمل.

**فحقيقة الرضى:** تلقّي أحكام الله الأمرية الدينية، وأحكامه الكونية القدريّة بانسراح صدر، وسرور نفس، لا على وجه التكره والتلذّظ.

### 10. شَكَرُوا الَّذِي أَوْلَى الْحَلَاتِ قَضَلَهُ \*\* بِالْقَلْبِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَرْكَانِ

**الشكر** يكون بالقلب، وهو: الاعتراف بنعم الله، والاقرار بها، وعدم رؤية نفسه لها أهلاً، بل هي محض فضل ربه. ويكون باللسان، وهو: الشاء على الله بها، والتحدث بها. ويكون بالجوارح، وهو كفها عن معاصي الله، والاستعانة بنعمه على طاعته، فإن أعطاه شيئاً من الدنيا شكره عليه، وإن زوى عنه شيئاً منها شكره



أيضاً، إذ رُبما كانت نعمته عليه صارفة عنه شراً أعظم منها، وإن وقَّفه لطاعة من الطاعات رأى العينة لله في توفيقه لها وشكره عليها. والله المستعان.

**11. صَبِّحُوا التَّوَكَّلُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ \*\* مَعَ بَذْلِ جُهدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ**  
يكمل العبد في هذين الأمرين، وهما: التوكل على الله، والاجتهاد في طاعة الله، ويتخلف عن العبد الكمال بفَقْدِ واحدٍ منهما.

**فحقيقة التوكل تجمع أمرين:** الاعتمادُ على الله، والثقة بالله، فيعتمدُ على ربه بقلبه في جلب ما ينفعه في أمر دينه ودنياه، فيَبْرَأُ من نفسه وحولها وقُوَّتها، ويثقُ بالله في حصول ما ينفعه، ودفع ما يضره، ويجتهدُ في الأسباب التي بها يتوصلُ إلى المطلوب.

**وتفصيل ذلك:** الله إذا عزمَ على فعل عبادةٍ بذلَّ جهده في تكميلها وتحسينها، ولا يُقْبِي من مجهوده مقدوراً، وتبرأ من الظَّنِّ إلى نفسه وقُوَّتها، بل لجأ إلى ربه، واعتمدَ عليه في تكميلها، وأحسنَ الظَّنَّ، ووثقَ في حصول ما توكلُ به عليه. وإذا عزمَ على ترك معصيةٍ قد دعتُه نفسه إليها، بذلَّ جهده في الأسباب الموجبة لتركها من التفكير بها، وصرف الجوارح عنها، ثم اعتمدَ على الله، ولجأ إليه في عصمته منها، وأحسنَ الظَّنَّ به في عصمته له، فإنه إذا فعل ذلك في جميع ما يأتي ويترك، رُجِّي له الفلاح إن شاء الله تعالى.

وأما من استعان بالله وتوكلَ عليه، مع تركه الاجتهاد اللازمَ له، فهذا ليس بتوكلٍ، بل عجزٌ ومهانة. وكذلك من يبدلُ اجتهاده، ويعتمدُ على نفسه، ولا يتوكلُ على ربه، فهو مخذولٌ.

**12. عِبُدُوا الْإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ \*\* فَبُيُوءُوا فِي مَنْزِلِ الْإِحْسَانِ**

هذه المنزلة يقال لها: منزلة الإحسان، وهي كما فسرها النبي ﷺ: «أَنْ تُعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، فإذا تصور الإنسان هذا المقامَ في جميع أحواله لا سيما حال العبادة: متعة من الانتفات بقلبه إلى غير ربه، بل أقبل بكلِّيته على الله، وتوجهَ بقلبه إليه، متأدباً في عبادته، آتياً بجميع ما يكملها، محتبباً كلَّ مُقْبَضٍ لها. وهذه المنزلة من أعظم المنازل وأجلها، ولكنها تحتاج إلى تدريب للنفوس شيئاً فشيئاً. ولا يزال العبد يعودُها نفسه حتى تجذب إليها وتعادها، فيعيش العبد قريبَ العين بربه، فرحاً مسروراً بقربه.

**13. نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ \*\* بِالْعِلْمِ وَالْإِشَادِ وَالْإِحْسَانِ**

**14. صَحَّبُوا الْخَلَائِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا \*\* أَرْوَاهُمْ فِي مَنْزِلِ قَوْلَانِي**

هذه حالهم مع الخلق، أكمل حال وأجلها، فأبدؤا لهم غاية النصيح، وأحبوا لهم ما أحبوا لأنفسهم من الخير، وكرهوا لهم ما كرهوا لأنفسهم من الشرِّ، فسَعَوْا في إزالة الشرِّ عنهم بكلِّ مُمكن، واجتهدوا في إيصال النفع إليهم بكلِّ مقدورٍ: من أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإطعام جائعهم، وكسوة عاريهم، وإغاثة ملهوفهم، وتعليم جاهلهم، وردع ظالمهم، ونصر مظلومهم، واحتمال أذاهم، وكفهم أذى أنفسهم عنهم، ومع هذا فضحتهم لهم بالظاهر والجسم. **وأما قلوبهم وأرواحهم:** فإنها تسجُلُ حول الحبيب، وتطلب من قربه أعظم نصيب، فتارة تنكسر بين يديه، وتخضع وتخضع لديه، وطوراً تشكره بحبه، وتتلذذ عليه لاستحضار برِّه وثره، ثم تميلُ إلى مراضيه، فتجتهدُ في عبادته، وتُحسنُ إلى مخلوقاته، فهؤلاء هم الناس، بل هم الغنلاء الأكياس. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**15. أَلَا بِاللَّهِ دَعَوْتُ الْخَلَائِقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا \*\* خَوْفاً عَلَى الْإِيمَانِ مِنْ تَقْصَانِ**

هذه منزلة الرعاية لأحقيق الإيمان ومشاهد الإحسان، وذلك أنَّ العبد لا ينبغي له أن يُعرضَ عن تدبُّر أحواله، والتفكير في نقص أعماله، بل يبذلُ جهده قبل العمل، وفي نفس العمل وتصحيحه وتحسينه، ثم يصونه من المفسدات، ويزهده عن المنقصات، فإنَّ حفظَ العمل أعظمُ من العمل، فكلما ازداد العبد رعاية لعمله واجتهاداً فيه ازدادَ إيمانه، وكلما نقصَ من ذلك نقصَ من إيمانه بحسبه.

ومن أعظم ما ينبغي مراعاته في العمل مشهَدُ الإحسان، وهو: الحرصُ على إيقاع العبادة بحضور قلبٍ وجمعيته على الله، كذلك مراعاة مئة الله على العبد، وأنه ينبغي له أن يشكر الله على توفيقه لذلك العمل أعظم شكر. وكذلك مراعاة الخوف والرجاء، يخاف من ردها بعجب أو رياء أو تكبرٍ بها، أو عدم قيام بحققها، أو غير ذلك، ويرجو قبولها برحمة ربه ومنه وإحسانه إليه، الذي من جملته توفيقه لها.

**16. عَزَّوْا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا \*\* قَدْ قَرَّعُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ**

**17. حَرَّكَاتُهُمْ وَهَمُّوهُمْ وَعَزَّوهُمْ \*\* لِلَّهِ، لَا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ**

أي: فرَّغوا قلوبهم عن جميع ما يشغلُ عن الله، ويبعدُ عن رضاه، وهذا حقيقة الزهد. ولا يكفي هذا التفرغ حتى يمتلئ القلبُ من الأفكار النَّافعة والمزوم الصادقة، فتكون أفكار العبد في كلِّ ما يقربُ إلى الرحمان، من تصوُّر علم، وتدبُّر قرآن، وذكر الله، بحضور قلبٍ، وتفكير في عبادة وإحسان، وخوف من زلة وعصيان، أو تأملُ لصفات الرحمان، وتنزيهه عن جميع العيوب والنقصان، أو تفكير في القبر وأحواله، أو يوم القيامة وأحواله، أو في الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها، فأفكارهم حائسة حول هذه الأمور، متنزهة عن دنيات الأمور، والتفكير بما لا يجدي على صاحبه إلا الهمُّ والويلال، وتضييع الوقت، وتشيت البال، غير نافع للعبد في الحال والمآل.

**18. نِعَمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي \*\* تُقْضِي إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ**

فهؤلاء هم الذين يسعدُ بهم رفيقهم، إذا اقتدى بسلوك سيِّرهم فريقيهم. وهؤلاء الذين أمرنا الله أن نسأله أن يهدينا طريقهم إذ أنعمَ عليهم بصدق إيمانهم وتحقيقهم.

فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأن يجنبنا طرق الغضب والضلال الموصلة إلى الخزي والويل، إنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

والله أسأل، وبأسمائه الحسنى وصفاته ونعمه أتوسل: أن لا يجرنا خيراً ما عنده من الإحسان والغفران، بشر ما عندنا من التقصير بحقوقه والعصيان، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً للفوز عنده في جنات النعيم.

والحمد لله رب العالمين، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، حمداً كثيراً مباركاً فيه، كما ينبغي لكرم وجهه وعزَّ جلاله. وصلى الله على محمد النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلِّم تسليماً كثيراً.

المصدر: الموقع الرسمي للعلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله [www.binsaadi.com](http://www.binsaadi.com)

## كن داعياً

أخي الكريم أسهم في الدعوة إلى الله بنسخ هذه المطوية وتوزيعها عسى أن تكون لك حسنة جارية ونسأل الله لك الهداية والثبات والمفطرة

# السَّيْرُ إِلَى اللَّهِ

# وَالدَّارُ الْآخِرَةُ

السَّيِّخُ الْعَلَامَةُ

## عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ السَّعِيدِ

رَحِمَهُ اللَّهُ  
(١٣٧٦-١٤٢٧هـ)